

عمائر الموصل التراثية تستصرخ الضمائر الحية لإنقاذها

الباحث محمد توفيق النخري

الموصل مهد حضارات امتدت الى ما قبل التاريخ الى الالف السادس قبل الميلاد دلت عليها الآثار في كهوف خضى وتل حسوينة وتلول الفلانات وام الدباغية ويارم تبعه مروراً بالحضارة الآكديّة والآشورية وحضارة ما قبل الإسلام والحضارة العربية الإسلامية والتي زادت أهميتها. وقد خلفت هذه الحضارات المتعاقبة شواهداً أثرية حضيفت باهتمام السعاب الأثرية والبلدانمين والرصالة منذ مئات السنين الآن هذه الآثار لم تسلم من العسلب والسرقاة بطرق منمظمة مشروعة وغير مشروعة لعل منها بسبع احجار سور الموصل للحجارين في نهاية العهد العثماني رغم توفر الحجر في كل الأراضى المحيطة بالمعد، وسرقاة الآثار أثناء الحصار الاقتصادي الذي سبق الغزو وتعرض الآثار للسرقاة والتخريب أثناء الغزو مباشرة مما يؤشر الى الأدوار الضميمة لجهات أجنبية اسرائيلية ويهود عرب، إضافة الى ضعاف النفوس والضمائر القانمين بتنفيد هذا التخريب.

عند قدومه الى الموصل سنة ٥٦٦هـ = ١١٧٠م حينما تلى لتنظيم شؤون البيت الاتاكي واراد ان يبقي ذكر الزيارة وتولى عمارة الجامع والمنذنة (عمر بن محمد العملاء) وانجز بناؤها مع الجامع سنة ٥٦٨هـ سنة ١١٧٢م وصلّى في الجامع نور الدين في هذه السنة عند عودته الى الموصل.

يصف سليمان الصالح منارة لجامع النوري فيقول: شيدت المنارة التاريخية مع بناءة الجامع النوري وقدرت بسمئلتها ان تتقلب على عوامل الطبيعة طينة هذه الاجيال ولولا التحراف في استقامتها لكانت من اروع اثار الشرق فنا وبنورة ترتقز على قاعدة مربعة الشكل وتذهب في الفضاء بارتفاع نحو ٣٠-٥١م مع قاعدتها وقد اجادت يد الفن في تسيبها وتزيينها بالنقوش والزخرف، فحفظها سبع طبقات تعلو بعضها بعضاً، ولل منوها زخرف خاص من قطع الأجر وكانت المشرفية العليا من هذه المنارة قد اصابها بعض العطب فهدمتها دائرة الأوقاف سنة ١٩٢٥م واستعاضت عنها بسياج حديدي وقد اجاد الاساذ للتكوير احمد قاسم الجمعة حينما وصف المنارة فقال بئانها تعد من المآذن النفيسة في العالم العربي الإسلامي من حيث الضخامة والارتفاع البالغ ٩٠،٤٥م ووجود مسلمين بداخلها ونظفيتها بالكامل بالوحدات الزخرفية باستثناء القسم الأسفل من قاعدتها، المنذنة تتكون من قاعدة مكعبة منسورية طول ضلعها ٥،٧م وارتفاعها ١٩م بطولها بدن اسطواني طوله حتى الحوض ٤م ومحيط قاعدته ١٦،٤٥م وقطره من

ومما يحز في النفس ان كل دول العلم القريبة منها والبعيدة قد حافظت على تراث بلادها من قلاع حربية وقصور وملاعب ومسارح رومانية واسوار وجعلوها مرفق سياحية ومناخف استمروا على صيانتها وهذه اثار تركيا وسوريا (والدولتان المذكورتان من الدول الفقيرة اذا ما قيستا بموارد العراق) خير شاهد على ذلك.

لحظة تاريخية عن الأثرين صندسة الحدياء وباشطابيا

أراد القانمون على تنظيم هذه الندوة تسليط الضوء على الأثرين العربيين الإسلاميين لما لهما من مكانة في نفوس أهل الموصل فمنارة الحدياء هي إحدى الرموز الدينية في المدينة هي والجامع النوري الملحقة به، وقسلة الموصل (باشطابيا) هي رمز من الرموز التي يتعلق بسبها المواصلة والتي تذكرهم بصمود اجدادهم امام الغزوات الخارجية والتي كان اخرها غزوة تادرشاه سنة ١٧٤٣م حيث كانت القسلة المذكورة هي المركز الذي انبرت منه عملية الدفاع عن المدينة كما لان الأثرين مهدين بالانهيار لأسباب عديدة.

١. منارة الحدياء: بنيت مع الجامع النوري الكبير امر ببنائها نور الدين محمود عماد الدين زكي صاحب حلب



جامع النوري، طوله السلام



لواء مروان

الأسفل ٢٠م ومن الأعلى ٣٠م. وهناك اختلاف بسيط بين ما أورده الأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة من القياسات وما جاء به الأستاذ الدكتور عادل نجم عيو في موضوع المنارة لسنا بصدد بيانها في هذا البحث .

اجمعت المصادر التاريخية التي نال الجامع والمنارة شيئا على أرض خراب واسعة وسط البلد ويكون الجامع هو ثاني مسجد جامع من الناحية التاريخية بعد الجامع الأموي .

هدم المسجد سنة ١٩٣٩ وأعيد بناؤه بشكله الحالي . أما بالنسبة للمنذنة فقد تعرضت الدولة بعد شعورها باحتمالية خطورة تهريبها أو سقوطها باستملاك ثور المجاورة لها في نهاية المسبحة من القرن الماضي وعوضت أصحابها بمبالغ تكفي لشراء بدلها وفعلاً قام البعض منهم بترك هذه الدور وبقي القسم الآخر منهم سائلاً فيها لحسد الآن، كما أوكلت لشركة فوندايل الإيطالية عملية ترصين قاعاتها وترميم بدنها واستمر العمل بها حتى نشاء قيام العرب الأيرانية العراقية واستمر قصف الطائرات الأيرانية الموصل. وأخر ترميم للجامع المذكور جرى للباب الخارجي الجنوبي للجامع بعد مشاركته على السقوط قبل سنوات قليلة .

٢ قلعة الموصل (باشطابيا) المبرج الأعلى، وتقع في الشمال الشرقي للمدينة على بعد حوالي ١٠٠م شمال مرقد يحيى أبو القاسم وهي جزء مهم من أجزاء سور الذي يلف الموصل من كل جهاتها ومن هذه القلعة أديرت المعركة الأخيرة ضد لغزاة بقيادة نادر شاه قولي خان سنة ١٧٤٣م.

كانني الأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة أن أول من أنشأ القلعة هو مروان بن محمد الأموي سنة ١٢٦هـ - ١٢٨هـ يرى المرحوم سعيد الديوه جي أن سور الموصل قد بناه الحمدانيون بعد أن هدمه فرعون الرشيد سنة ١٨٠هـ. وأن الحمدانيين هم الذين شيّدوا هذه القلعة قريب من دورهم وهدمت القلعة سنة ٤٥٠هـ من قبل البساسيري إبراهيم وأربابا أعدا أصارها شرف الدولة العقيلي عندما عمر الموصل سنة ٤٧٤هـ - ١٠٨١م وقد كان لقلعة الموصل أهميتها في وقت الزنكيين ونصبوا لها مسؤولاً

يلقب (دردار القلعة) إلا أن أكثر المصادر قد ذكرت أن ترصين السور والقلعة قد جرى على يد حسين باشا الجلبي وأهالي الموصل قبل غزوة نادرشاه الأخيرة () وأعيد ترميمها مع السور سنة ١٧٥٤م. كما قام أحمد باشا الجلبي سنة ١٨٢١م بتجديد السور والقلاع الملحقة به.

ويقول جون استر عندما زار الموصل في الستة المذكورة أن أسوارها عالية منيعة لأنها مبنية بقطع كبيرة من الحجر ومجهزة بعدد من الحصون والأبراج () ولست في وارد أن أقوم ببحث الموضوع تاريخياً لأنه ليس موضوع الندوة فالمعتمدين المذكورين اعلاه قد اشبعوا بحثاً من قبل المختصين في حينه وتناولتهما الكتب الرصينة والبحوث ، وأن ما يهمنا هنا هو محاولة وضع التصورات لاقتاد هذين المعلمين لسما لهما في ضمير الموصليين من مكانة وخصوصية.

١ - معالجة منارة العدياء

لغرض الاطلاع على المعالجات المقترحة لاقتاد هذه المنارة فقد اطلعت على مقالة زميلي الأستاذ عبد الله امين اغا المنشورة في مجلة مناهل جامعية العدد ٢٤ الصادرة في رمضان ١٤٢٨هـ = ايلول ٢٠٠٧ والتي استند فيها الى الابحاث والمصادر التي بحثت الموضوع والمتوفرة لديه في مديرية متحف الموصل والتي استصعب من خلال دراسته امكانية معالجة المنارة في موقعها الحالي وكأما اقترح او حيد نقل المنارة الى محل اخر من فناء الجامع بعد اعداد أسس مسبقة الجهد بعد تقطيعها على شكل حلقات او صب منذنة بديلة بالموقع الجديد وتحويل الأجر المغلف للمنذنة القديمة وتركيبها كما كانت على المنذنة المشيدة، كما أخذت رأي

المهندس زين العابدين الفخري الذي له خبرة في ترميم مرقد الامام عبد الرحمن ويحيى أبو القاسم الذي استبعد امكانية نقل المنذنة بوضعها الحالي كما يفعل اليابانيون في نقل بناياتهم كما نشاهد ذلك في جهاز التلفاز حيث ان البنات اليابانية مشيدة اصلاً بساعدة من الفولاذ ومرتكزة على أسس فولاذية وبسببها أجهزة امتصاص الصدمات Shocks absorber وهي مهيأة للنقل منذ تصميمها وهذا ما يسهل عملية نقلها وقد أيد المهندس المذكور فكرة تقطيع المنارة الى حلقات عرضية على ان تقسم كل حلقة الى قسمين أي قسطعها طولياً ايضاً لضمان رفعها من محلها بدون خطر التفتت كما يتم وضع كل نصف حلقة على صقالة (سكلة) وتنزل الى الارض بواسطة كرينات (رافعات) مهيأة لهذا الارتفاع وتبقى كل حلقة على الصقالة التي رفعتها من مكانها لحين اكتمال الازال كل الحلقات بضمئها حلقات الكراسي حيث ان الحلقة الأولى التي ترفع هي الحلقة الأخيرة عند اعادة التركيب والبسقاء، كل هذا بعد ان يجري عمل قاعدة جديدة في محل اخر من فناء الجامع يؤخذ فيها حسابات مستقبلية للمياه الجوفية والتخسفات واحتمال الزلازل وغيرها، ويقترح المهندس المذكور ان يجري تقطيع الحلقات بأجهزة متطورة بواسطة الماء وليس بالمناسير حتى تضمن عدم خسارة أي مقدار من السمك الأصلي للمنذنة وهذا يتطلب عمل فريق متخصص (expert team) بهذا العمل قد لا تجده في العراق مثل الفريق الذي عمل في اقتاد ونقل اثار الجيزة (ابو الهول). وفي هذه الاثناء صدرت جريدة الشرق الأوسط بعددها المرقم ١٠٥٣٦ بتاريخ

٢٠٠٧/١٠/٣٠ وفي صفحتها الأخيرة نشرت عن نقل كنيسة المائبة الى موقعها الجديد الذي يبعد ٢ كم عن موقعها القديم والتي تزن اكثر من ٨ الاف طن وعمرها اكثر من ٧٥٠ سنة والتي يبلغ طولها ٢٠م ولا يزيد ارتفاع برجها عن ٣٠م وهي ايضا ذات اهمية تاريخية، وصورة التقرير ملحقه في نهاية البحث.

كل المقترحات اعلاه ممكنة مع وجود فريق او شركة اجنبية او عربية او تركية متخصصة ولكن في الظروف الامنية الحالية لا يوجد من يقدم للاستغلال في مثل هذه المشاريع لا بل حتى من اهل بغداد الذين يتكثرون البناء بالأجر (الطابوق) المغلفة به المنارة في حالة تفكيك الأجر القديم وتركيبه على المنذنة المشيدة حديثا. وعليه اقترح علاجاً فورياً لتفادي سقوط المنذنة بتابع ما يلي:

تطبيقاً لنظرية بنائي الموصل القديمة في هذه الحالات لتفادي حصول هطول في احد الجدران هو (توسيع النعل) ويقصدون صب اساس عريض وفي هذه الحالة اقترح (رغم تواضع امكانياتي الهندسية) الى عمل اساس كونكريتي مسلح بعرض (١٠م) من كل جهة من جهات الكرمسي الاربعة وبعمق مناسب مع اذرع جانبية مساعدة ويتصل هذا الأساس بالكرسي بواسطة قضبان حديدية في جزء من التسليح وتتدخل في بناء الكرمسي بعد تثقيبها ويجري الحفر والصب على مراحل لكي لا تميل المنذنة الى الجهة التي تم الحفر بجانبها على ان يسبق كل ذلك عمل سكة حديدية تطوق المنذنة من كل الاتجاهات والتي ارتفاع مناسب بقرره المهندسون المختصون ولا ترفع هذه السكة في الوقت الحاضر الا بعد الاطمئنان من نجاح المحاولة بعد مراقبة الميزان ولا يوجد مانع من ان تبقى هذه السكة لحسين ايجاد حل نهائي للمنذنة من قبل شركة اجنبية متخصصة.

بانتظارها او البرج الأعلى

ان سبب الهطول الذي حصل للجزء الشمالي الشرقي من البرج يعود فيما اعتقد لان البناء جرى على التل الترابي المحاذي لنهر دجلة ومن دون ان يعمل له جدار سندان يفصله عن مياه النهر وهو مائتسية في الموصل البدن او السكر او ما يسميه اهل بغداد (مسنانية) كالتى يستند

عليها بناء قصر الامارة (قره سراي) وشماله حتى مرقد يحيى ابو القاسم. وفي ايام الفيضان فان ماء النهر يصل الى مستوى يؤثر على اساس البرج ومن المحتمل ان مجرى النهر كان بعيداً جداً عن هذا البرج حين تنفيذ هذا المشروع والذي مضى عليه مئات السنين، كما وان القساء الاف الامتار المكعبة من الاحجار الكبيرة ثم عمل سدة ترابية في الجانب الشرقي للنهر منذ سنين طويلة قد جعل ماء الفيضان ينحصر ويؤدي الى التأثير على اساس البرج، وبعد السؤال من المهندس السيد زين العابدين عن كيفية معالجة الهطول الذي حصل للجهة الشمالية الشرقية للبرج (أفاد) بعد ترقيم احجار هذا الجزء يجري هدمه وتفكيكه والاستفادة مستقبلاً من حجارته ليكون عملنا متماثياً مع الشروط الصحيحة للتعامل مع المعالم الاتارية وبعد رفع الجدار بالكامل يجري عمل اساس بطريقة حديثة كقرز ركائز كونكريتية مسبقة الجهد الى مستوى يطمئن الى ارتكاز الركائز على طبقة صخرية وتصب اساس كونكريتية بين

الركائز ويعاد البناء بنفس الاحـ المرفوعة والاستعانة بأحجار مشابه حالة الحاجة لذلك وترتبط بالبناء المو بتبشكة من الحديد تدخل في ثقب تص البناء القديم وان هذه العملية يكاملها تنفيذها بأبادي موصلية).

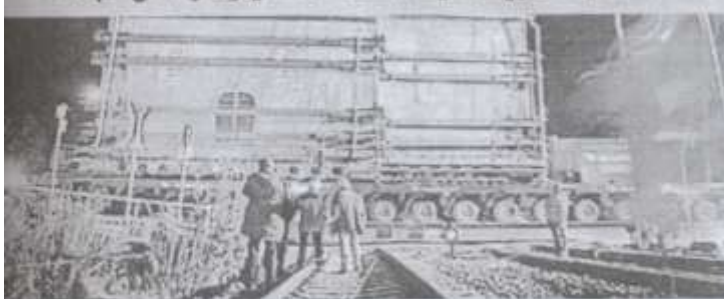
ولا ننسى ان هناك منظمات دولية منظمة اليونسكو التي هي احدى مؤسسات الأمم المتحدة ومؤسسة الاغا خان التي فرع في بيروت والمنظمتين هما بالاتار ومن الممكن استشارتهما ومساعدتهما (وحتى من الناحية الم عن طريق القنوات الدبلوماسية للمساعدة للحفاظ والتقاء هذين الم الآثاريين المهمين.

الخلاصة

نستطيع ان نقول ان جميع عم التراثية في الموصل مهددة بالان وتعالى من الامل وليس هذين الم فقط ولا أدل على ذلك الانجاء في به الاستاذ عبد الله امين اغا الموسوم (الدور التعليمي للمسجد) منطقة باب ال (تمودجا) والذي انقاه في ندوة قد

عمرها اكثر من 750 سنة وتزن حوالي ٨ الاف طن

المانيا: تحريك كنيسة لمسافة 12 كيلومترا على عجلات



الكنيسة المنقولة براً الى كاتدرائية لانس، فرنسا

فولون والثانية ماجد الخليل

وكانت كنيسة المومس، الامانية الى موقعها الجديد في بلد بورنا بعد ان تم نقلها على عجلات عبر مسافة 12 كلم من قرية هويرسبورغ، وكان في انتقال الكنيسة يوم امس في الامنح الاثنا عشر من المائتين والخمسين والقسولان الذين تابعوا مسيرة الكنيسة على العجلات طول مسافة ثمانية اسابيع الماضية. ودائى نقل الكنيسة من موقعها قرب ابرج اتروفي الى بورنا القريبة بعد ان التفتت الحكومة النمساوية لامتزع قرار السماح باستمرار حياض القوم

الوالماتت قرية هويرسبورغ ويستمر حتى هذا الاساس لتفريق قرية هويرسبورغ وهويرس سقلانيا الى الايسرر المانية وانفسه وهذا يعني ان سرعة الحوم «مراج» تتقوى بكل وهويرس 207 من سقلن القرية خلال عام 2008 حيث ستمددا اعمال استخراج الفحم وتم نقل مسيرة الكنيسة منها رجم سارتا رئيس القراة الاثنا روموف مايسر للتعليد فط لوقط الاحجار الخشبية من بورنا وهويرسبورغ. وتعمد الطريق خلال المناطق الزراعية وإزالة الاندك الخريمانج من الطريق. وقد لمس اثنى وار المهندسين جعلوا للسكات التي

تتمثل الكنيسة تمز فوق نهر الصاحبه الضعيف بعد ان جعلوا مياه النهر تمز من جسر من الانابيب الضخمة، كما حروا العجلات فوق خضقت للسانك الحديد التي تمز في المنطفة وفوق نهر صغير آخر تمز قرب بورنا. ونقلت نقل الكنيسة شركة «امويت-هولندية» التي اشرف عليها. على عملية رفع الكنيسة بواسطة رعايات ضخمة ومن لتحميلها على منصة تنسز حتى 100 عملة ضخمة وقاد العمال ابل تلك بعد جمر الكنيسة مع بعضها بالمرافق الضخمة والأحاديث معها لغقت الجدران القديمة وبلغ عمر الكنيسة اكثر من اوتر

يتوزع الثقل على كل الدوائر وتسهل عملية الاستملاك والتأهيل وادامة العناصر التراثية عن طريق الاستقلال.

٤. انطلاقاً من تبديل اسم وزارة الثقافة والاعلام الى وزارة السياحة والآثار والتي تعود اليها مديرية آثار نيوى فتمأسل من الدائرة المذكورة ان تكتبي وتفتح الوزارة لإنشاء مرافق سياحية مناسبة أمام كل مرفق سياحي مثل الثور المنجج او باب المسمقى كان يبنى مطعم سياحي، وكذلك إنشاء كازينو وملعب اطفال في الفضاء امام باشطابيا بعد اكمال اتمال ترميمها واعادة الحياة للمنطقة حيث كانت هذه المنطقة من أفضل المكاتب لتتزه المواطنين وعوالهم في ايام الربيع ولعل الفضل من وثق تلك المهرجانات والسفريات هو الفنان المرحوم (تجيب يونس) بلوحاته المشهورة والمتضمنة رسوم للعوائل والباعة المتجولون من بائع الفرات و بائع شعر بسنات و صندوق الدنيا و بائع الباقلاء وغيرهم وتأمل من القسامين على مديرية المتحف لتجاوز القوالب القديمة المتبسة سابقاً والقيود التي تحدد من حرية استعمال الفضاءات وجعلها حسائق وكازينوهات لتجميل المنطقة والاستفادة من بدل الاجار لادامة وترميم هذه المنشآت.

٥. ادعو رئاسة جامعة الموصل باعادة النظر في استعمالات بناية البارود خاله وجعلها مكاناً لتحفيظ القرآن الكريم مثلاً بدار من قبيل كلية العلوم الاسلامية او قسم علوم القرآن الكريم والبناية هي المرفق الوحيد الباقي على هيئته الجيدة من سور الموصل ومرافقه وعليهم تسليط الضوء على هذا المعلم بأسلوب آخر أفضل مما اقترحه اعلاه. □

الدور التراثية ولا يخفى على احد ان امثال هذه الدور قد أصبحت من أهم المرافق السياحية في دول الجوار (تركيا وسوريا) فجعلوها مطاعم من الدرجة الأولى وغيرها من الاستخدامات السياحية.

المعالجات

١. حث مديرية أوقاف الموصل بالقيام بواجبها لاعادة النظر في وضع المساجد والجوامع واعادة تأهيلها هي والمدارس الملحقة بها لتقوم بواجبها الديني بغض النظر ان كان للمسجد المذكور خدمات وقفية او لا، وببناء مرافق تجارية فيها تساعد من خلال ايراداتها السنوية على ادامتها مستقبلاً.

٢. تغيير مصب مجرى المياه الثقيلة القريبة من دار الامارة قره سراي وجعلها تصب جنوب المعلم المذكور بمسافة وهو لا يكلف كثيراً لكونه يمر بشوارع خدسي وطول المصب المقترح الذي يجمع المجرىين لا يتجاوز طوله ١٥٠م ومن الأفضل عمل معمل لتكريس للماء عند المصب بعلاج الماء بيئياً.

٣. قيام دوائر الدولة المهمة المرتبطة بوزارات مركزية والدوائر التي لها شخصية معنوية مستقلة باستملاك الدور التراثية استملاكاً عادلاً واعادة ترميمها وجعلها مرافق خدمية وسياحية فمثلاً مديرية تربية نيوى تستطيع استملاك (بيت جاسم التوحلة) والذي لا يحتاج الى كثير من الاموال لتأهيله ليكون مدرسة كما كان لوقت قريب، وان تقوم جامعة الموصل



الاجتماع /كلية الاداب المنعقدة بتاريخ ٢٤ /١٠/ ٢٠٠٧ والذي بين الاهمال الواقع على دور العبادة (المساجد) الواقعة في منطقة باب البيض لوحدها والتي ازيلت العديد منها بسبب انهيارها وعدم اعادة بنائها، هذا في محلة واحدة من محلات الموصل فما بالك ببقية مساجد المحافظة بكاملها. ليس من واجب دائرة الاوقاف القيام بالعناية بهذه المساجد؟

امدار الامارة او مايسمى بقره سراي فانه يعاني من الاهمال المتعمد حيث ان الدولة جاءت بمشروع ينقل المياه الفسرة ويصب الأول منهما في النهاية الشمالية للقرص والثاني يصب على بعد ٣٠-٤٠م من الثاني ولكم ان تتصوروا لرواح الكريهة المنبعثة من هذين المجرىين (والمجرى الثاني بالمناسبة ينقل مياه الفسرة من المستشفى في العام والمستشفى الجمهوري) فكيف تجعل من دار الامارة مرفقاً سياحياً في هذه الحالة المزرية للمنطقة؟

اما الدور السكنية التراثية فقد اصابها الاهمال هي الاخرى بل ان بعضها هدم وحل محله عمارات لا علاقة لتصميمها بآثار الموصل من قريب ولا من بعيد كعمارة الصفا.

وقد رافقت اللجنة المشكلة في مديرية متحف الموصل الحضاري في الصيف الماضي وزرت معهم بعض هذه الدور التي جرى توثيقها من قبلهم مجدداً ووقفت على الحالة المزرية التي وصلت اليها هذه الدور بسبب عدم استطاعة اصحابها من اعادة ترميمها واعادة الحياة اليها ومن هذه الدور نماذج تستحق كل الاهتمام للحفظ على تراثنا المعماري ومنها بيت الحاج نعمان الدباغ وبيت امين بسك الجبلي وبيت امين الجبلي وبيت جاسم التوحلة في محلة عبدوخبوب وغيرها من



البارود خاله



باستملاك بيت (نعمان

الدباغ) من ملاكه الجدد وجعله بعد الترميم محلاً لعقد الندوات التراثية او مناقشة الرسائل والاطاريح او داراً لاستضافة الاساتذة الوافدين من بقية الجامعات او متفدً من منافذ بسيع الكتب والدوريات او غيرها من الامور الغائبة عن ذهني في الوقت الحاضر، وهكذا لبقية الدوائر حتى